**التوحيد: تفرد، وإطلاق، وبقاء..**

أ.د مخلص السبتي

من المبادئ الكبرى التي تقوم عليها الديانات الإبراهيمية [[1]](https://www.awaser.net/2021/02/17/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%AF-%D8%AA%D9%81%D8%B1%D8%AF%D8%8C-%D9%88%D8%A5%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%8C-%D9%88%D8%A8%D9%82%D8%A7%D8%A1/#_ftn1)– وكثير من غيرها – مبدأ التوحيد، ومفاده التسليم بأن لهذا الكون خالقا ومدبرا، وعلى الرغم من التشوهات الكثيرة التي أصابت هذا المبدأ سواء على مستوى التمثل أو على مستوى التنزيل في كثير من فترات التاريخ، فإن أغلب النصوص المؤسسة في الديانات الثلاث تحيل إلى كونه توجه إيماني يوجه مشاعر وتصرفات المؤمنين نحو رؤية واحدة وواضحة ومحددة، وتشير النصوص الإسلامية إلى أن توحيد الله يعني -من بين ما يعنيه- الاتحاد بين المؤمنين في طلب الحق والعدل والسلام، وكلها أسماء لمسمى واحد يستحق العبادة والتضحية ، وبهذا فليس التوحيد في الإسلام مجرد اختزال لآلهة متعددة في إله واحد يجتمع الناس حوله، ولا هو تصور ميتافيزيقي يهم المنعزلين بتأملاتهم عن الحياة إنه أحد الأحكام الكلية التي تنتظم ضمنها كل جزئيات الحياة وتفاصيلها.

التوحيد في اللغة العربية جعل الشيء واحدا، وهو في اصطلاح علماء الكلام الاعتراف بوجود إله خالق واحد، لا شبيه له ولا شريك[[2]](https://www.awaser.net/2021/02/17/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%AF-%D8%AA%D9%81%D8%B1%D8%AF%D8%8C-%D9%88%D8%A5%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%8C-%D9%88%D8%A8%D9%82%D8%A7%D8%A1/#_ftn2)، ويلخص ذلك شعار الإسلام “الشهادتان “، فلفظ الشهادتين اللتين تصاحبان المسلم يوميا، واللتان يحرص على أن يختم بهما حياته ترسخان في وجدانه ومشاعره أن لا معبود بحق إلا الله ، وأن لا مبلغ بحق عن الله إلا محمد، وهذا يتضمن أمران متلازمان :

**الأول:** توحيد المعبود الخالق الرازق، له وحده صفات الكمال المطلق والجلال الأبدي.

الثاني: توحيد جهة التبليغ عن الله: المنحصرة في شخص محمد بن عبد الله النبي الخاتم، وذلك يقتضي توحيد جهة التشريع الديني بما أحل الله أو حرم، فكما أنه لا يحق عند المسلمين التوجه لما سوى الله بالعبادة، فكذلك لا يحق التوجه لما سوى محمد لتحديد ما هو دين.

على أننا يمكن أن نستنتج من مجموع النصوص الدالة على التوحيد في الاسلام المفاهيم الأساسية الآتية:

1. **التفرد:** كل ما في الكون متجه إلى الله خاضع له، منجذب إليه بالطبيعة لا بالاختيار، إلا الإنسان فبالاختيار إذ – وهو صاحب الإرادة من بين المخلوقات – له أن يستجيب فيوحد، وله أن يعرض فيشرك، ولكل قرار نتائجه الخاصة على مصير الفرد والجماعة.
2. **الإطلاق:** الله هو المتفرد بصفات الكمال والجلال والجمال على وجه الإطلاق، فكل ما عداه، ومن عداه نسبي ضعيف قاصر على كل مستويات العلم والقدرة والسمع والبصر والغنى والحياة … فالله تعالى هو الحق المطلق، وهو العدل المطلق، والسلام المطلق …
3. **البقاء:** كل ما عدا الله خاضع لسنة التغير والتحول والتقادم والفناء، هو وحده الأول والآخر والظاهر والباطن، وليس ذلك لأحد أو لشيء غيره، مهما كان سموه، ومهما كانت رفعته، لا حاكم ولا محكوم ، ولا جنس ولا شعب ، ولا مذهب ولا تشريع، لا بقاء إلا له وحده، وكل ما ومن عداه متحول من حال إلى حال، ثم ينتهي إلى زوال.

[[1]](https://www.awaser.net/2021/02/17/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%AF-%D8%AA%D9%81%D8%B1%D8%AF%D8%8C-%D9%88%D8%A5%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%8C-%D9%88%D8%A8%D9%82%D8%A7%D8%A1/#_ftnref1)  تضم الكثير من المنظمات الحقوقية إلى مفهوم الديانات الابراهيمية عددا من المذاهب والديانات كالسامرية والدرزية والمندائية والبهائية والبابية انظر:  RACISM, RACIAL DISCRIMINATION, XENOPHOBIA AND RELATED FORMS OF INTOLERANCE, FOLLOW-UP AND IMPLEMENTATION OF THE DURBAN DECLARATION AND PROGRAMME OF ACTION Written statement submitted by the Cairo Institute for Human Rights Studies (CIHRS), HUMAN RIGHTS COUNCIL Ninth session Agenda item 9  25 august 2008  p : 2-3

[[2]](https://www.awaser.net/2021/02/17/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%AF-%D8%AA%D9%81%D8%B1%D8%AF%D8%8C-%D9%88%D8%A5%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%8C-%D9%88%D8%A8%D9%82%D8%A7%D8%A1/#_ftnref2)  يقول الجرجاني في تعريفاته: (في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان، وهو ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة) علي بن محمد الجرجاني – التعريفات مؤسسة الحسني 2006 ص: 67